وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـــامعـــة ديـــالـــى

كلية التربية الاساسية

المرحلة الاولى

اصول الدين

للفصل الدراسي الاول

للعام الدراسي (٢٠١٧ – ٢٠١٨) م

مكتبة الشروق

المرحلة الأولى
الفصل الأول

المادة : التربية الإسلامية
عدد الساعات: ٢

مفردات المنهج

١ التعريف بعلم أصول الدين
٢ أسماء هذا العلم وأدلتها
٣ أركان الإيمان عند جمهور المسلمين
٤ الإلهيات
٥ وجود الله وصفاته
٦ أدلة وجود الله تعالى
٧ دليل الحدوث
٨ دليل العناية والاختراع
٩ بداية العوالم
١٠ الإنسان
١١ الصفات الإلهية
١٢ الصفة النفسية (الوجود)
١٣ الصفات السلبية (القدم ، البقاء ، مخالفة الحوادث ، القيام بالنفس ، الوحدانية)
١٤ صفات المعاني (القدرة ، الإرادة ، العلم ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام)
١٥ أثر عقيدة التوحيد في الحياة
١٦ ما يستحيل في حقه تعالى
١٧ ما يجوز في حقه تعالى

تعريف علم أصول الدين : ـ

نتعرف علم أصول الدين أولاً باعتباره مركباً إضافياً من كلمة (أصول) وهي المضاف، وكلمة (الدين) وهي المضاف إليه، وذلك بكون بتعريف كل كلمة منه على حدة. ونعرفه ثانياً باعتباره اسماً لعلم مخصوص من علوم الدين.

أصول : ـ

جمع. مفردها : أصل. ومعناها اللغوي ما يبتنى عليه غيره، سواء أكان الابتناء حسياً كالأساس الذي يشيد عليه البناء، فهو أصل له، أم كان الابتناء عقلياً كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية. وقد تصرف العلماء في كلمة أصل فنقلوها من معناها اللغوي التي تدل عليه حقيقة، واستعملوها بعدة معانٍ مجازية أهمها (٣) :

ما يقابل الفرع ، والقاعدة ، والدليل ، والراجح من الأمور .

وكلمة (أصل) تستخدم في هذا العلم بمعناها اللغوي ، أي : ما يبتنى عليه غيره، وذلك لأن ما عداها من أمور الدين يبتنى عليها ويتفرع عنها.

كما يصح استخدامها بالمعنى المجازي الأول، أي : ما يقابل الفرع. وذلك لأنها أصل في مقابلة علم الشرائع. وتستخدم أيضاً بالمعنى المجازي الثاني، أي القاعدة التي يبتنى عليها غيرها، لابتناء ما عدا أصول الدين عليها.

الدين : ـ

اسم عام يطلق في اللغة على كل ما يُتعبَّد الله به، كما يطلق على عدة معانٍ مختلفة منها : الطاعة والخضوع والاستسلام، والاستعلاء والملك والسلطان، والجزاء والحساب، والعادة والقضاء والمذهب والملة والشريعة (٤) .

---

(٣) انظر القاموس المحيط مادة (أصل) وإرشاد الفحول ص ٣ وبحاث الحكم عند الأصوليين ص ٨ لمحمد سلام مدكور والأصول العامة ص ٣٩ للسيد محمد تقي الحكيم.

(٤) انظر : القاموس المحيط، ولسان العرب، ودائرة معارف القرن العشرين ج٤ ص ١٠٦ .

ويمكن إرجاع هذه المعاني المختلفة لكلمة الدين إلى ثلاثة معانٍ تكاد تكون متلازمة، ويرجع ما يلحظ من تفاوت بين هذه المعاني إلى أن كلمة (دين) ليست كلمة واحدة في الحقيقة، وإنما هي ثلاث كلمات، وبعبارة أدق تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب.

بيان ذلك : أن كلمة (الدين) تتوصل تارة من فعل متعدٍ بنفسه (دانه يدينه)، وتارة من فعل متعدٍ باللام (دان له)، وتارة من فعل متعدٍ بالباء (دان به).

١ ـ فإذا قلنا (دانه ديناً) عنينا بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه ودبّره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه. فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك : من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة والمجازاة.

ومن ذلك: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (٥)، أي: يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث (الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني) (٦) أي : حكمها وضبطها. و (الديّان) الحَكَم القاضي.

٢ ـ وإذا قلنا (دان له) أردنا أنه أطاعه وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع.

٣ ـ وإذا قلنا (دان بالشيء) كان معناه أنه اتخذه ديناً ومذهباً. أي اعتقده أو اعتاده أو تخلّق به.

فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً وعملياً. فالمذهب العملي لكل امرئ هو عادته وسيرته، كما يقال : (هذا ديني وديدني). والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم (دينت

---

(٥) الفاتحة ٤.

(٦) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس. وهو صحيح/ الجامع الصغير ج٢ ص ٩٨.

الرجل) أي : وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يراه سائغاً في اعتقاده.

ولا يخفى أنّ هذا الاستعمال تابع أيضاً للاستعمالين قبله، لأن العادة أو العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم اتباعها.

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أنّ كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظّم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً. وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً. وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أي المظهر الذي يعبر عنها.

ونستطيع الآن أن نقول : إنّ المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد : فإن الاستعمال الأول الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له.

والذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات هما الاستعمالان الأخيران، وعلى الأخص الاستعمال الثالث. فكلمة الدين يراد بها تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في البادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً (٧).

كان ذلك معنى كلمة (الدين) وأصلها في اللغة.

وأما في عرف الناس واصطلاحهم، فقد عرفه الإسلاميون بتعريفات متقاربة في ألفاظها، متحدة في معناها، وهي :-

١ - الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات.

٢ - الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول، باختيارهم إياه الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل.

ويلاحظ أنّ تعريف الإسلاميين للدين قاصر على الدين المنزل، وذلك لجعلهم

(٧) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز / الدين ص ٢٥.

أصول الدين (اصطلاحا) : علم يراد منه اكتساب العقائد الدينية بالأدلة العقلية ودفع الشبه الموجهة إليها .

- أسماء هذا العلم وأسبابها : ـ

سمي العلم الباحث في العقائد الدينية بأسماء مختلفة منها : ـ

أ ـ الفقه الأكبر : سماه بهذا الاسم الإمام أبو حنيفة في كتابه (الفقه الأكبر) (١) حيث ذكر أن : (الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم، لأن الفقه في الدين أصل، والفقه في العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم) .

ب ـ علم النظر والاستدلال : سمي بهذا الاسم لأنه يعتمد منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقائد التي ثبتت بالنصوص الدينية .

جـ ـ علم التوحيد والصفات : سمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحث ، وأهمها وأخطرها، مبحثا التوحيد والصفات الإلهية .

---

(١) كتيب صغير، وقد شرح عدة شروح، وطبع عدة طبعات .

د ـ علم العقائد : سمي بهذا الاسم لأنه يتكفل ببحث العقائد الدينية، وإثباتها بالأدلة اليقينية، والدفاع عنها ضد العقائد والأفكار المخالفة لها.

هـ ـ علم الكلام : اشتهر بهذا الاسم لعدة أسباب أهمها : (٢)

١ ـ أن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع حولها في القرون الأولى كانت مسألة (كلام الله)، هل هو أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث؟ فسمي العلم باسم أهم مسألة فيه.

٢ ـ أو أنه يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين. وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٣ ـ لعل أوجه الأسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا فيما كان السلف من الصحابة والتابعين يسكتون فيه، فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي الصمت، اقتداء بالسلف الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلا بحد ضيق.

و ـ أصول الدين : سمي بهذا الاسم لأنه أصل المعارف الدينية، لابتنائها عليه وتفرعها عنه، ولأنه يتكفل ببيان ما يعتبر من أصول الدين وأركانه التي لا يتم إيمان بدونها. مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الفروع العملية للدين، ومقابل علم الأخلاق والتصوف الذي يعنى بجانب السلوك والأخلاق على أساس من الذوق الروحي والوجدان القلبي.

ولما آثرنا هذا الاسم وجعلناه عنواناً لهذا الكتاب، ولأن غايتنا هي التركيز في البحث على أصول الدين، وليس البحث في الأصول المذهبية، والمسائل الفرعية، سواء كانت نظرية أم عملية.

---

(٢) انظر : التفتازاني/ شرح العقائد النسفية ص ١٤، ١٥ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ص ١٦ وانظر أيضاً مصطفى عبد الرازق/ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٦٧ وعبد الرحمن بدوي/ مذاهب الإسلاميين ج١ ص ٢٨.

« الالهيات »

الايمان بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته ، الركن الاول من اركان الاسلام وأساس مسائل العقيدة جميعاً .

لذلك فاننا سنبحث هنا مسألة وجود الله وصفاته وما يترتب عليها من امور الاعتقاد وسنقتصر في دراستنا هذه على ما يجب ان يعلمه الدارس من حقائق مهمة ، متخذين طريقين يتهيأ بالباحث الى اليقين الذي لا مراء فيه :

أولهما : النقل من القرآن الكريم الذي ثبت وصوله الينا من الله تعالى عن طريق الوحي الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) والادلة القاطعة في ذلك مثبتة في الكلام عن الوحي واعجاز القرآن في هذا الكتاب .

والنقل من السنة النبوية الثابتة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الصحيحة ، معرضين عن الاحاديث التي فيها جرح أو ضعف .

وثانيهما : النظر العقلي السليم إذ هو أساس بناء صرح العقيدة الاسلامية . وبذلك تتركز العقيدة الاسلامية في النفس على بناء متين مقام براهين يقينية لا تقبل الجدل .

الركن الثاني : الايمان بالملائكة

الملائكة اجسام نورانية ، لهم قوة خارقة لا تدانيها قوة البشر ، ولهم وظائف يؤدونها بصدق واخلاص ، وهم معصومون عن الخطأ عمدا وسهوا : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[٩٥] ووجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي من الكتاب والسنة « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله »[٩٦] وليس الايمان بالملائكة مستحيلا عند العقل ، بل هو من الممكنات التي يُجَوِّزُ العقل وجودها : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »[٩٧] هذا كان انكار وجودهم كفرا باجماع المسلمين،بل بنص قوله تعالى « ومن قبل ان الايمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن عليه يستلزم الايمان بالملائكة فانكار وجودهم انكار للنبوة والقرآن معا »[٩٨] .

الركن الثالث : الايمان بالكتب المنزلة

ما من شك في ان كل رسول بعث لامة كانت اديه تعاليم سماوية تهدف الى تنظيم علائق افراد تلك الامة بالخالق،ثم تنظيم حياة الافراد وعلاقتهم ببعض ، وبالامم والشعوب الاخرى ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم اسماء تلك الكتب التي تضمنت التعاليم الالهية منها صحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى .

وقد دعانا الاسلام الى التصديق بهذه الكتب وبجميع ما انزل جملة لكنه ــ تعالى ــ الزمنا العمل بكتابه الكريم لانه متضمن لجميع التعاليم الالهية ، معتبر لتلك الكتب « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »[٩٩] .

---

(٩٥) التحريم / ٦
(٩٦) البقرة / ٢٨٥
(٩٧) النساء / ١٣٦
(٩٨) كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٩٢ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
(٩٩) المائدة / ٤٨

الركن الرابع : الايمان بالرسل

اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ ان يبعث في كل امة رسولا ، يبلغهم الكتاب والحكمة ويدعوهم الى عبادة الله وحده « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »[٩٢] ومن أجل وحدة دعوة الرسل عليهم ، دعا الإسلام اتباعه الى التصديق بجميع رسل الله ـ في الجملة ـ وعدم انكار نبوة احد منهم «لانفرق بين أحد من رسله»[٩٣] كما أمر الاسلام اتباعه باعتقاد ان هؤلاء الرسل كانوا متصفين بافضل الصفات البشرية من امانة وصدق وذكاء ، منزهين عن الرذائل والنقائص من خيانة وكذب وغباء . « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »[٩٤] .

الركن الخامس : الايمان باليوم الآخر

وهو ان يعتقد الإنسان برجوعه حياة اخرى غير هذه الحياة ، وذلك بعد ان يبعث الله ـ تعالى ـ الخلائق بعد موتهم للحساب والجزاء « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى »[٩٥] «زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »[٩٦] .

« قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها »[٩٧] « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »[٩٨] .

---

(٩٢) النحل / ٣٦
(٩٣) البقرة / ٢٨٥
(٩٤) الانبياء / ٧٣
(٩٥) النجم / ٣١
(٩٦) التغابن / ٧
(٩٧) الانعام / ٣١
(٩٨) التوبة / ٢٩

الركن السادس : الايمان بالقدر :

بعدما اثبتت حكمته ـ تعالى ـ خلق العباد ، لم يتركهم هملا بل ارسل اليهم « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (٩٨).

وانزل عليهم كتبه تبين لهم معنى الهداية وغاية الغواية « وهديناه النجدين »(٩٩) وبعد ان بين لهم ذلك .. منحهم ارادة مستقلة تتصرف في حرية تامة ، فتأتي ما تشاء وتدع ما تشاء من الاعمال « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(١٠٠) لكنه سبحانه احصى اعمال خلقه وعرف بعلمه الواسع الذي لا يحيطه شيء ما سيفعلونه من خير او شر ، وما سيكون منهم من هداية او ضلال وسجل ذلك كله في كتاب « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها »(١٠١) « ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء »(١٠٢) .

فالقضاء هو : « علم الله المحيط بما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم الحساب والجزاء » والقدر هو « وقوع الحوادث في الازمنة والاشخاص طبقا لما في علم الله جلت حكمته » .

ومعنى الايمان بهما هو : الاعتقاد بان ما يصيب الانسان من خير او شر ، واقع حسب تقدير الله تعالى وعلمه .

ومما يجدر التنبيه عليه ان علم الله بما سيقع من عباده ووقوعه منهم حسب هذا العلم والتقدير ، لا يعني ان العباد مجبرون في افعالهم ، ملزمون بالاتيان بها والا « بطل الثواب والعقاب ، والامر والنهي والوعد والوعيد » بل الانسان هو الذي يخط افعاله بنفسه متخذا الطريق الذي يراه « فمن

---

(٩٨) النساء / ١٦٥
(٩٩) البلد/١٠
(١٠٠) الكهف/٢٩
(١٠١) الكهف/٤٩
(١٠٢) آل عمران/٥

المبحث الأول
وجود الله وصفاته

المطلب الأول
وجود الله جل جلاله

شغلت مسألة وجود الله تعالى الفكر الانساني قديماً وحديثاً، فتمخّض عن ذلك إيمان جمهور الناس بوجود الله سبحانه، بعد أن حكموا عقولهم، وجنّبوها الهوى والشطط، فنظروا في الكون ودقائقه وأسراره.

وأنكره الضالون والمضلون، مدعين حرية العقل، لأن الحواس لم تدركه، والغيب لا يعول عليه في إثبات وجوده ...

لذلك انبرى العلماء للمنكرين، فردوا عليهم، وجاءوا بأدلة واضحة نقلية وعقلية صريحة كثيرة، تثبت للعاقل الشخص وجود الله تعالى، وأنه علة الكون.

وهذه الأدلة نذكر أهمها فيما يأتي :

ادلة وجود الله تعالى

استدل العلماء على وجود الله تعالى بأدلة كثيرة نذكر منها أهمها فيما يأتي :

الدليل الأول : دليل الحدوث

بنى المتكلمون هذا الدليل على المقدمتين الآتيتين :

المقدمة الأولى : العالَمُ حادث (١) .

المقدمة الثانية : كل حادث لا بد له من محدث.

النتيجة : العالم لا بد له من محدث يُحدثه. أي : يرجّح وجوده على عدمه، وهو الله سبحانه وتعالى.

ولكي تظهر لنا صحة هذه النتيجة، علينا أن نقيم الدليل على صحة كل من المقدمتين السابقتين.

الدليل على ان العالَمَ حادث

يمكن صياغة دليل حدوث العالَمِ بالدليلين الآتيين :

اولهما : العالم متغير.

وكل متغير حادث.

فالعالم حادث.

---

(١) العالَمُ : هو كل ما عدا الله سبحانه وتعالى.

وسمي حادثاً، لأنه حدث وظهر بعد أن لم يكن، لعلة أوجدته. فالحادث هو : ما كان معدوماً ثم وجد. / المسامرة لابن أبي شريف، شرح المسايرة للكمال بن الهمام، ص ١٧ .

ثانيهما : العالم مركب من جواهر (٢) وأعراض (٣) .

وكل من الجواهر والأعراض متغير.

فالعالم متغير.

والأعراض حادثة بدليل :

أ ـ مشاهدة تغيرها من وجود إلى عدم ، ومن عدم إلى وجود ، ومن سكون إلى حركة، ومن حركة إلى سكون ، والتغير علامة الحدوث.

ب ـ احتياجها إلى مخصص يوقت حدوثها ، دون ما قبله وما بعده، فلا بد من مرجح لوقوعها في ذلك الوقت، لأن الترجيح من دون مرجّح محال.

جـ ـ افتقارها إلى جسم يقوم بها.

والجواهر حادثة أيضاً، وذلك :

لأنها ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها. فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان، والأعراض حادثة كما تقدم، وملازم الحادث حادث.

فإذا ثبت أنّ الجواهر والأعراض حادثة، لزم أن يكون العالم المكوّنُ منهما حادثاً.

وبذلك تسلم لنا المقدمة الأولى وهي : (العالم حادث).

الدليل على أنّ كل حادث لا بد له من محدث :

هو : أنه لو حدث حادث بلا محدث، للزم أن يترجح وجوده على عدمه بلا

---

(٢) الجوهر : هو ما قام بنفسه.

(٣) العَرَض : هو ما قام بغيره كالألوان والحركة والسكون.

فالحجر جوهر وعَرَض، فذاته جوهر، وألوانه أو حركته أو سكونه عَرَض.

مرجح، وهو مستحيل بالبداهة (٤).

ومعنى الرجحان بدون مرجح هو : أن يكون الشيء جارياً على نسق معين، ثم يتغير عن نسقه، ويتحول عنه بدون وجود أي مغير.

وهذا واضح البطلان، لأن جميع العقلاء يعلمون أن لا بد لتحويل الشيء عن حاله السابقة من محوّل ومؤثر، يفرض عليه هذا الوضع الجديد، ويسلخ حاله القديمة. فإنك لو تركت كفتي ميزان متساويتين، لا ثقل في أحداهما، وزعمت أن إحداهما قد ترجحت، دون مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو حجر ... ولو زعمت للناس أن جهاز المذياع أوصل إليك أخبار العالم، دون أن تدير صمامه، لضحكوا منك وأشفقوا عليك.

وعلى ذلك نقول : كان العدم هو المتبسط على العالم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خلق هذا العالم ترجح وجوده على العدم، و الوجود والعدم أمران متساويان، وترجيح أحد هذين الأمرين المتساويين على الآخر بلا مرجح مستحيل وباطل بالبداهة.

فالقول بأن العدم قد تحوّل إلى وجود العالم دون سبب لهذا الوجود، باطلٌ ومستحيل استحالة دعوى صاحب الميزان والمذياع (٥).

وبذلك تسلم لنا المقدمة الثانية وهي : (أنّ كل حادث لا بد له من محدث).

---

(٤) انظر هذا الدليل في : المواقف للمتقدم وحاشية السيد الشريف الجرجاني عليه ص ٤٦٦ والمسايرة على المسايرة ص ١٧ ـ ٢١ وحاشية القاسم بن قطلوبغا على المسايرة ص ١٨ ـ ١٩ والمقاصد للمتقدم وحاشية الجرجاني، وإجلال الدواني عليها، والكلنبوي على الدواني ج١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ وشرح الدردير على الخريدة البهية وحاشية الصاوي عليه ص ٤٦ ـ ٤٩ و ٥٥. والرازي مفسراً للدكتور حسن عبد الحميد ص ٢٨٢.

(٥) كبرى اليقينيات الكونية ص ٨١ و ٨٣.

موجودة، ومن ثم فإن الخليقة المدعاة أيضاً تكون غير موجودة.

وإذا بطل الدور والتسلسل، بطل ما أدّى إليهما، وهو كونُ موجد العالم ممكناً، وعندئذ وجب أن يكونَ الموجدُ واجبَ الوجود.

ولا يخرج عن هذين الدليلين الدليل الذي ذكره بعض فلاسفة الغرب، وهو أقوى الأدلة وأبسطها لتوجه النفس ببرهان الخلق، أو الدليل الكوني(١٨).

الدليل الثالث : البرهان العلمي

دليل العناية والاختراع

وهذا الدليل هو أجل الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها. وهو الذي ذكره ابن رشد في مناهج الأدلة باسم العناية والاختراع، وذكر أنه يمكن أن يختلف:

أ ـ فالجمهور طريقاً لإثبات وجود الله تعالى، فيقتصرون منه على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على الحس.

ب ـ والعلماء، فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان.

وهذا الدليل هو الذي نبه عليه القرآن الكريم، واعتمده الصحابة رضي الله عنهم. وبيانه فيما يأتي :

---

(١٨) ومضمون هذا الدليل : هو أن الموجودات لا بد لها من موجد، لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره، ويرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر، دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته.

انظر : الكلام عن هذا الدليل في (الله) للمقاد ص ١٩٢ ـ ١٩٣ وعرض لأحد طرقه وهو : دليل الحركة (برهان المحرّك الذي لا يتحرك) ومحواه : أن المتحرك لابدّ له من محرّك، وأن هذا المحرّك لا بد أن يستمد الحركة من غيره، وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرّك واحد، لا تجوز عليه الحركة، لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان. وهذا هو الله.

وانظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية د. عرفان ص ١٧١ وما بعدها، وعرض لطريقتين من طرقه الخمسة المشهورة التي خصها القديس توما الأكويني وهما : برهان الحركة، وبرهان الإمكان والوجوب.

الأول : دليل العناية : ـ

وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. ويبنى على أصلين :

أ ـ إن جميع الموجودات التي ههنا موافقةٌ لوجود الانسان.

ب ـ إن هذه الموافقة هي (ضرورة) من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً، والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار والهواء . . .

وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي : كونها موافقة لحياته ووجوده.

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ / الفرقان ٦١.

ب ـ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ / النبأ ٦ ـ ١٦.

جـ ـ ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ / عبس ٢٤ ـ ٣٢.

الثاني : دليل الاختراع : ـ

وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات. كاختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية، والعقل.

ويدخل فيه : وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات. وهذا الدليل يبنى على أصلين موجودين بالفطرة في جميع فطر الناس هما :

أ ـ أن هذه الموجودات مخترعة، فإنا نرى أجساماً جمادية، ثم لحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أنّ ههنا موجداً للحياة وجمعاً بها، وهو الله تبارك وتعالى.

وأما السماوات، فنعلم من قبل حركتها التي لا تفتر، أنها مأمورة بالعناية بنا ههنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ / الحج ٧٣.

ب ـ إنّ كل مخترع فله مخترع، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الاختراع.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ / الأعراف ١٨٥.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ / الطارق ٥ـ٦.

وقال : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ... / الغاشية ١٧.

وأما الآيات القرآنية التي تجمع بين هذين الدليلين فمنها :

أ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

البقرة ٢١ ـ ٢٢.

هما : الصوديوم الذي يدخل في تركيب الشمجرات، والكلور الغاز الخانق الغائل NaCl .

١١ ـ إذا نظرت في المجهر إلى قطرة من المياه الآسنة ، تجد عادةً من الأحياء فيه العجائب (٣٠) .

١٢ ـ الزنبور حين يصيد الجُندُب، يخدّره ، فيحمله ، ليتغذى عليه صغاره حين يولدون (٣١) .

١٣ ـ عش بعض العناكب يكون على شكل منطاد تحت الماء، ينفخ بفقاعات الماء، التي تحملها في شعر تحت جسمها، وعندئذ تلد صغارها، لا يؤثر عليها هبوب الرياح (٣٢) .

١٤ ـ يطير الخفاش ـ وهو الضعيف البصر ـ ليلاً، ولا يصطدم بحاجز، لأنه يرسل اهتزازات ترجع إليه إذا اصطدمت بجسم أمامه، فيحس به دون أن يراه، وهذا شبيه بالرادار (٣٣) .

١٥ ـ لو أن ذبابتين توالدتا، ولم يأت الموت عليهما وعلى أولادهما، فإنه بعد خمس سنوات، تتشكل طبقة من الذباب حول الكرة الأرضية، ارتفاعها ٥ سم. وهذا جنس واحد، فكيف بالمخلوقات جميعاً، إذا لم يأت عليها الموت (٣٤) ؟

١٦ ـ والإنسان ذلك اللغز المحير للعقل، يتكون من عناصر تساوي : برميلاً صغيراً من الماء. مع عناصر معدنية تكون مسماراً صغيراً، ورأس عود ثقاب من الكبريت، وكمية من الكلس يمكن أن يُطلى بها جدار، وعناصر أخرى قليلة جداً لا تساوي قيمتها نصف دينار، والسر لا يكمن في نوعية المواد،

---

(٣٠) هذه من الأمور الأولية التي يدرسها الطلاب في علم الكيمياء.

(٣١) الله ـ سعيد حوى، ص ٧٦.

(٣٢) العلم يدعو للإيمان ص ١١٩ .

(٣٣) الله ـ سعيد حوى ص ٩٨.

(٣٤) المصدر السابق ص ٩٢

وإنما يكمن في تركيبها، وتكوين ذرات الخلية، ثم التركيبات الحيوية المتولدة في الجسم (٣٥).

فالإنسان يتم سماعه بدخول الصوت إلى العيوان، ثم إلى داخل الأذن، ويمر بجزء فيه ٤٠٠٠ حنية (قوس) ، تشبه سُلّماً موسيقياً، تنقل إلى المخ بشكل ما (٣٦) ، أما كيف يحصل فهم المسموع؟ وكيف يتم تمييز الأصوات العديدة جداً عن بعضها البعض؟ وأين تقع خزائن الذاكرة للمسموعات. . ؟ فهذه لم يتوصل إليها (٣٧) .

وهكذا في باقية الحواس الأخرى.

في جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية، ويستهلك الجسم من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة. وعدد خلايا الجملة العصبية المركزية (المخ والنخيخ والجذع الشاكي) يقدر بحوالي ١٤ مليار (المليار يساوي ألف مليون) خلية عصبية، تسيطر على نشاط البدن وفعاليته، ويكمن فيها النشاط الفكري والشخصية الانسانية (٣٨) .

بصمة الأصبع لأي شخص امرأة أو طفل أو رجل، لا تشبه بصمة أي شخص آخر، ولذا تتخذ التحقيقات الجنائية بصمات الأصابع دليلاً على كشف هوية المجرمين.

أما العمليات الحيوية الدقيقة التي تجري في البصر، وسائر الحواس، والتخلق الإنساني، وتكون الخلايا، ووظائف الجسم وغيرها، فإنه ليعجز عن وصفها القلم، وكلها ألغاز محيرة وأسرار مدهشة، بقي الكثير منها طي الكتمان، حتى يحين الوقت لكشف شيء منه.

---

(٣٥) الطب عجائب للإنسان ص ٥٩.

(٣٦) العلم يدعو للإيمان ص ١١٩.

(٣٧) الطب عجائب للإنسان ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٣٨) الطب عجائب للإنسان ص ٩٤ وما بعدها وص ٤٠ ـ ٤٢.

الأدلة التي ذكرناها آنفاً، والتي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى.

أما الذين ينكرون وجود الله، بحجة أنهم لم يدركوه بحواسهم، فهؤلاء يتصورون بأن الحواس هي طريق المعرفة.

إن واقعهم يكذبهم فهم :

يؤمنون بالجاذبية والمغناطيسية والكهربائية، وبوجود الالكترون والبروتون والنيترون وبالعقل، ولم يروا شيئاً منها، بل رأوا آثارها فقط.

فمن أنكر وجود الله تعالى بحجة أنه لم يره، وآمن بما ذكرت، فما هو إلا خادع لنفسه، لأن العقل هو الذي أدرك هذه الأمور وغيرها وليست الحواس، لأنها خادعة أحياناً، وما الحواس إلا آلات أعطت العقل أدوات الحكم ليصدر حكمه.

خداع الحواس

لا يمكن الاعتماد على الحواس، لأنها تخدع صاحبها في كثير من الأحيان. وأمثلة ذلك كثيرة منها :

خداع البصر :

١ ـ العصا المغمورة في الماء تبدو للناظر مكسورة.

٢ ـ لا ترى العين الزجاجة الصافية، مع أنها موجودة منظورة.

٣ ـ لا ترى العين سطور الكتابة، التي قربت إليها تقريباً شديداً.

٤ ـ يقول علماء النفس : إنك لو أدمت النظر إلى نقطة في حائط، وبعدها نظرت إلى حائط آخر، ترى النقطة نفسها فيه، مع أنها لا وجود لها في الحائط الثاني.

٥ ـ يرى المريض أشباحاً لا يراها غيره.

خداع الاذن :

١ ـ لا تسمع الأذن الأصوات الخافتة، كما لا تسمع الأصوات الشديدة، كصوت

الأجرام السماوية، ومثلها تفجر القنابل الذرية التي لا تسمع الأذن منها إلا الصيحة الأولى، أما الانفجارات التي تليها، فلا تسمعها الأذن، مع أن آلات التسجيل تسجل أرقاماً عالية جداً، وذلك لأن أوتار كورتي في الأذن، تسمع ذبذبة معينة محدودة، لا تسمع ما دونها، ولا ما فوقها.

٢ ـ يسمع المريض أصواتاً، لا يسمعها غيره.

خداع اللمس :

لو وضعت في ثلاث أوانٍ ماء حاراً ودافئاً وبارداً، ونقلت يدك من الماء الحار إلى الدافئ، تجده بارداً. وإذا نقلتها من الدافئ إلى البارد، تجده بارداً جداً، وهذا من خداع اللمس.

خداع الذوق :

١ ـ هناك مراد عديمة الذوق، فلا تعمل فيها الحامة.

٢ ـ إذا تذوقت مادة شديدة الحلاوة، ثم انتقلت بعدها إلى مادة أقل حلاوة من الأولى، تجدها خالية من الحلاوة.

٣ ـ المريض يحس الماء العذب مراً.

٤ ـ لا تستطيع حاستا اللمس والذوق معرفة الخواص والمركبات الكيميائية المحرقة (٥٨).

هذه الأمثلة وغيرها تبين لنا أنّ الحواس كثيراً ما تخدع، فلا يصح الاعتماد عليها في كشف الحقائق، لذلك كان العقل هو الحاكم على الحواس، وهذه أدوات لا غير.

فكيف يمكن القول : بأن الله سبحانه لم يدرك بالحواس، فلا ينبغي الإيمان به؟ هذا لا يقوله إلا جاهل لا يملك مسحة من العقل.

---

(٥٨) نداء الروح ـ فاضل السامرائي، ص ٢٣ ـ ٢٧.

سبب الإلحاد

الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو اعتقاد الفطرة التي فطر الناس عليها، وهو أساس كل جزئية يشتمل عليها الدين الإسلامي.

أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة، وقد حدد القرآن الكريم أسبابه، بما يأتي:

١ ـ الكبر:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الفرقان ٢١ ـ ٢٢.

ففي الآية بيان: أن الكبر وحده هو الذي دفعهم إلى تصور الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلا العدم.

٢ ـ الانحراف:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ / المؤمن ٣٦ ـ ٣٧.

ففي الآية بيان: أن طريق فرعون طريق خاطئ، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ الظلم:

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ / النساء ١٥٣.

فكلمة (بظلمهم) تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتنكر له.

وهذا الظلم (غير العدل) هو الذي دفع الكفار إلى اتهام المؤمنين بالله بأنهم : مشوهون وكاذبون وساطقيون . . . وهذا ما نراه اليوم من اتهاماتهم بأنهم : غير علميين، وغير صادقين، مشوشون، خدوعون.

٤ ـ الـجـهـل :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ / البقرة ١١٨.

ففي الآية بيان بأن هذا القول كلام جهال غير عالمين، وأنه ليس بجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليها (٥٩).

والعلم لم يدخل في يوم ما إلى الكفر والإلحاد، لأنه يتبع المنهج السليم في الوصول إلى حقائق الوجود ومظاهر الكون، ولم يقل في يوم إن هذا النظام الذي يجري عليه العالم قد نشأ صدفة، لأن الصدفة فوضى. والعالم الذي جلس في المختبر، أو عاش مع المنظار والمرصد، أو تعامل مع الأعداد . . . لا يعترف إلا بالنظام، وربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، ويقطع متيقناً بأن قوانين الطبيعة كالجاذبية والكهرباء، واللاسلكي . . . وغيرها من ملايين الصور، ما هي إلا آثار تدل على المؤثر وهو الله سبحانه وتعالى . . وقد أكد العلماء هذا الجانب بشكل جلي.

يقول د. ماريت شاتلي كونجدن، أحد كبار علماء الطبيعة في العالم : (إن جميع ما في الكون يشهد بوجود الله، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته).

وعندما كان انشتاين جالساً في مكتبة الجامعة ، التي يدرس فيها سأله

(٥٩) الله : سعيد حوى ص ١١ ـ ١٣.

١

الصفة النفسية : (الوجود)

وجود الله عزَّ وجلَّ

عرفها سعد الدين التفتازاني بأنها :

صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

شرح التعريف :

صفة : جنس يدخل فيه سائر الصفات.

ثبوتية : نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن. فتخرج الصفات السلبية كالقدم والبقاء ...

بها : أي المشتق منها، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذلك، فنقول : الله موجود، ولا نقول : الله وجود.

على نفس الذات : أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها، ولذلك سميت نفسية. فتخرج صفات المعاني والمعنوية.

دون معنى زائد عليها : تفسير للقول (على نفس الذات) (١٢).

ووجود الله تعالى وجود كامل ذاتي، أي : أنه موجود لذاته، لا لعلة مؤثرة فيه، لأن من خصائص الذاتي : أنه لا يقبل العدم.

---

(١٢) شرح الدردير على الخريدة وحاشية الصاوي عليه ص ٨٨ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ١٩.

أما وجود غيره (كل ما سوى الله تعالى) فهو وجود ناقص تبعي، أي : أنه مستمد من غيره، ومتوقف على من أوجده، لأن من خصائص التبعي : أنه لا بد أن يقوم بين قدمين سابق ولاحق (٦٣).

ومسألة وجود الله تعالى سبق الكلام عنها مفصلاً في المطلب الأول (وجود الله جل جلاله).

(٦٣) كبرى اليقينيات الكونية ص ١١٣.

٣

الصفات السلبية

وهي خمس : ـ

القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية (١) .

وليس المراد بكونها سَلْبية ، أنها مسلوبة عن الله ومنفية عنه ، وإلا لزم أن يثبت له الحوادث وطرو العدم ومماثلة الحوادث، بل المراد بكونها سلبية : أنّ كل واحدة سَلَبت (نفت) أمراً لا يليق به جَلَّ وعَزَّ (٢) .

فالقدم سلب لأولية الوجود، والبقاء سلب لأخرية الوجود . . . وهكذا. والحق أنّ الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة ، إذ من جملتها : أنه لا ولد له، ولا زوجة ، ولا بسيطاً ، ولا مركباً ، ولا في مكان ، ولا زمان ، ولا جهة ، وغير ذلك وإنما اقتصر على هذه الخمسة، لأنها أمهاتها (٣) .

وهذه الصفات لم يختلف بها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها.

١ ـ القدم

القدم في حقه تعالى بمعنى الأزلية، التي هي كون وجوده غير مستفتح، فليس معناه تطاول الزمن، فإنّ ذلك وصف الحادثات (٤) .

أو بعبارة أخرى :

---

(١) حصرها بهذا العدد : الباجوري في شرح الجوهرة ج١ ص ٥٠ والدردير في شرح الخريدة، والصاوي عليه ص ٥٨ . والطائي في رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص ٢٥ .

(٢) الصاوي على الدردير ص ٧٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٠ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٠ .

(٤) المسايرة على المسامرة ص ٢٢ .

معنى القدم: هو أنّ وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية (٥).

وضد القِدَم : الحدوث.

الدليل العقلي على قدمه تعالى :

أنّ الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذْ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث يُحدِثه، ومحدِثه يحتاج إلى مُحْدِث . . . وهكذا. فيلزم الدور أو التسلسل، وكلٌ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً (٦).

الدليل النقلي على قدمه تعالى :

قوله تعالى : (الأول) ، في الآية : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ / الحديد ٣ .

تصور صفة القِدَم :

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعدل والجلال . . . في ذات الله تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القِدَم أو صفة البقاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الخيال، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لكن لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأنّ العقل يجزم بثبوتهما، كما بينا ذلك في الدليل العقلي .

فربّ أمر يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كُنْهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء : (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع) (٧).

---

(٥) المصدر السابق وشرح ابن أطفيش على المتن، (هامش السامرة) ص٢٢.

(٦) شرح المواقف ص ١٧٠ والسامرة ص ٢٢ وشرح الطريفة للدوير ص ٦٠ ـ ٦١ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٠ والاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٩٢.

(٧) كبرى اليقينيات الكونية ص ١١٨ ـ ١١٩.

٢ ـ البقاء

ومعناه : أنّ الله تعالى أبدي، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء (٨) .

وضد البقاء : الفناء.

الدليل العقلي على بقائه تعالى :

١ ـ لو لم يكن الله تعالى باقياً، لكان فانياً،

ولو كان فانياً لكان حادثاً،

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث، ومحدثه يحتاج إلى محدث، . . . وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه تعالى.

٢ ـ لو جاز عليه تعالى العدم لاستحال عليه القدم ، وهو باطل بثبوت قدمه تعالى (٩) .

٣ ـ لو جاز عدمه لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى علة . لاستحالة الترجيح بلا مرجح.

٤ ـ وإذا جاز العدام، فإما أن ينعدم :

أ ـ بنفسه (بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته) وهو باطل، لأنه ثبت أنه علة وجود الموجودات، فلا يقبل الاتصاف بحال، فيلزم بقاؤه كما يلزم قدمه.

ب ـ بمُعدم يضاده، وهو باطل أيضاً، لأن الضد إما : ـ

١ ـ قديم : فيلزم اتصاف الباري سبحانه معه من الابتداء أصلاً ، لأن التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، وقد ثبت وجوده تعالى.

---

(٨) المسامرة ص ٢٤.

(٩) الدرّة على الخريدة والصفدي عليه ص ١١.

٢ ـ أو حادث : فيلزم التسلسل وجوده بمضاده القديم، لأن القديم أقوى من الحادث (١٠) .

الدليل النقلي :

قوله تعالى : (الآخر) في الآية : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ / الحديد ٣ ، وقوله سبحانه: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ / القصص ٨٨ ، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ / الرحمن ٢٦ ـ ٢٧ .

٣ ـ المخالفة للحوادث

معناها : أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً. فهي عبارة عن :

سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية (١١) ، ولوازمها عنه تعالى.

فلازم الجرمية هو التحيز، ولازم العرضية هو القيام بالغير، ولازم الكلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر (١٢) .

وضدها : المماثلة للحوادث.

الدليل العقلي على ذلك :

١ ـ أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها ، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث ، ومحدثه يحتاج إلى محدث . . . وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل ، وكلاهما باطل، فثبت مخالفته للحوادث.

---

(١٠) المسايرة ص ٢٤ ـ ٢٥ وانظر : الاقتصاد في الاعتقاد ص ٩٢ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٩١ وشرح المواقف ص ٢٧٠.

(١١) أي ليس الله تعالى جرماً ولا عرضاً ولا كلاً ولا جزءاً.

(١٢) الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٩٢.

٢ ـ كل من وجب له القدم، استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم، فلا شيء منها بقديم فثبت المخالفة (١٣).

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ / الشورى ١١ .

ونفي المماثلة يفيد الأمور الآتية :

١ ـ أنه تعالى ليس بعَرَض، لما يأتي :

أ ـ لأن العَرَض يحتاج إلى جسم يقوم به، فيستحيل وجود العَرَض قبل الجسم، وقد ثبت أن الله موجده.

ب ـ لأن احتياجه إلى شيء يقوم به علامة الحدوث.

٢ ـ وليس بجوهر، لما يأتي :

أ ـ لأنه ملازم للعرض، والعَرَض حادث، فيلزم حدوثه.

ب ـ لأنه يوهم التركيب والتحيز.

٣ ـ وليس بجسم :

لأن الجسم مؤلف من جواهر وأعراض، وقد أثبتنا حدوثها فيما تقدم. وذلك خلافاً :

للمُجَسِّمة الذين قالوا بأنه تعالى جسم حقيقة، لكنهم اختلفوا : فقال بعضهم: هو مركب من لحم ودم، وبعضهم : إنه نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء، وبعضهم: على صورة إنسان شاب أمرد، وبعضهم : على صورة شيخ أشمط (١٤) الرأس واللحية . . . تعالى الله عما يقولون .

---

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) أشمط : أبيض.

٤ ـ وليست له صورة أو لون أو رائحة أو عوارض النفس من لذة وألم وفرح. لأن ذلك من خواص الأجسام.

٥ ـ ولا يوصف بالصغر أو بالكبر: (والكبر يراد به الحسي أما المعنوي فيوصف به) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾/ سبأ ٢٣.

٦ ـ ولا متمكناً بمكان (١٠٨):

وما جاء بالحديث القدسي (ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن) فيراد به: وسع عبدي ورحمتي.

والحديث القدسي الآخر: (وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرهُ الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي لأعيذنّه). فيراد به: الكناية عن استيلاء محبة الله على الشخص، حتى أنه عن شهود سواه.

٧ ـ ولا مختصاً بجهة لما يأتي:

أ ـ لأن الجهات الست حادثة بإحداث الإنسان وغيره، فإنّ معنى الفوق: ما يحاذي رأس الإنسان، أو ظهر من يمشي على أربع من جهة العلو، وهي جهة السماء، ومعنى السفل: ما يحاذيه من جهة الأرض.

ثم إنّ الجهات اعتبارية غير حقيقية، فإن النملة إذا مشت على سقف، كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض، لأنها تحاذي ظهرها. ولو كان كل حادث مستقراً كالكرة، لم توجد واحدة من هذه الجهات.

ب ـ إن الله تعالى موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سواه حادث، كما مر دليله.

---

(١٠٨) انظر: صفة التفهم بالنفس.

وحديث: وما يزال عبدي ... الخ. رواه البخاري في كتاب الرقاق ـ التواضع. فتح الباري ج١١ ص ٣٤٠.

٤ ـ القيام بالنفس

معنى القيام بالنفس شيئان :

أولهما : عدم افتقاره إلى محل.

وللمحل تفسيران :

١ ـ الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان، لأن ذلك علم من علاقة الحوادث.

٢ ـ الذات والمكان معاً. قاله الغزيلي .

ثانيهما : عدم افتقاره إلى المخصِّص، أي الموجد (٣١) .

وضدها : الاحتياج إلى غيره.

الدليل العقلي على ذلك :

١ ـ الدليل على عدم افتقاره إلى مخصص :

أنه لو افتقر إلى مخصص، لكان حادثاً .

كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفات ؟

٢ ـ الدليل على عدم افتقاره إلى محل :

أ ـ لو افتقر إلى محل، لكان صفة.

ولو كان صفة، لم يتصف بصفات المعاني، وهي واجبة القيام به تعالى، للأدلة الدالة على ذلك، وذلك باطل فثبت عدم افتقاره إلى محل (٣٢) .

ب ـ المتمكِّن محتاج إلى مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه. والمكان مستغنٍ عن المتمكن بجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل (٣٣) .

---

(٣١) الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٣.

(٣٢) المصدر السابق والدردير في شرح الفريدة ص ٦٢.

(٣٣) المواقف وشرحه ص ٤٧٦.

الدليل النقلي على ذلك :

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ / فاطر ١٥ . وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ / العنكبوت ٦ .

فإن قيل : كيف يتصور عدم تحيزه تعالى في مكان ؟

فالجواب هو : أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حالة في مكان ما، أما قياس الله تعالى على الأجسام في وجود التحيز، فهو قياس باطل، ولا علة جامعة بين الأصل والفرع، وذلك :

لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم والكهرباء في الأسلاك الممدة بجريانها بها ... إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كنهها ولا يدرك من سرها شيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيزه تعالى في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كنهه وتصوره وفهمه ؟

فحسب الإنسان إذن أن يؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثم يحار في فهمه وتصوره . وهذه هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله به عباده (٣٤) .

٥ ـ الوحدانية

معناها : عدم التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال .

فالوحدانية في الذات : تنفي (الكم المتصل) الذي هو التركيب، أي : تركيب الذات من أجزاء، وتنفي (الكم المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلهان فأكثر .

والوحدانية في الصفات : تنفي (الكم المتصل) الذي هو تعدد صفتين من جنس واحد كقدرتين فأكثر .

---

(٣٤) انظر البينات الكونية ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

وتنفي : (الكم المنفصل) الذي هو إثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم كقدرته تعالى، أو ارادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال : تنفي (الكم المنفصل) (٣٥) فقط، الذي هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق (٣٦).

وضدها : التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً) وفي الأفعال (انفصالاً).

أدلة نفي الكموم الخمسة

الأول ـ الدليل على نفي الكم المتصل في الذات.

(أي أنه تعالى ليس مركّباً من أجزاء).

إنه تعالى لو كان مركباً من أجزاء، لكان محتاجاً إلى تلك الأجزاء، وإلى من يركّبها، وحينئذ يكون حادثاً، وهو باطل لما تقدم من : إثبات أنه تعالى واجب الوجود (٣٧).

الثاني ـ الدليل على نفي الكم المنفصل في الذات.

(أي أنه تعالى إله واحد لا شريك له، يشاركه التصرف في المخلوقات).

أنه لو لم يكن واحداً لكان متعدداً، بأن يكون هناك إلهان فأكثر، ولو كان

---

(٣٥) أما الكم المتصل في الأفعال : فإن صوروه بتعدد الأفعال، فهو ثابت، لا يصح نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء ... وإن صوروه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. انظر : الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٤ والصاوي على الدردير ص ٦٤.

(٣٦) انظر : الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٤ والدّردير شرح الخريدة ص ٦١ ورسالة في التوحيد والفرق المناصرة للطائي ص ٣٩ ـ ٤٢.

(٣٧) الدردير السابق.

تاريخ المشكلة :

يقولون إن أول من نفى الصفات الإلهية شخصان هما : الجعْد بن درهم، والجهْم بن صَفْوان، وقد بنى الجهم فكرته على ركنين هما :

أ ـ لغوي : قال : المماثلة هي الاشتراك في الاسم. وكان يقول : لا أصف الباري تعالى بوصف يجوز اطلاقه على غيره كحي وعالم ومريد ... ولذا أثبت الجهم لله تعالى صفة القدرة والخلق والإيجاد، لأنه لا أحد يوصف بهذا من الخلق .

ب ـ فلسفي : كان الجهم جبرياً ، فنفى القدرة الإنسانية والاستطاعة، فالإنسان مجبر في أفعاله جميعاً.

وجاء المعتزلة فنفوا الصفات الإلهية، ويعتبر واصل بن عطاء شيخ المعتزلة أول من نفى الصفات منهم، قال : (من أثبت معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين) (١٧) .

صفات المعاني

١ ـ القدرة

هي صفة أزلية يتأتّى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه (١٨) .

وضدها : العجز.

الدليل العقلي على ذلك :

أ ـ هو أنه تعالى لو لم يتصف بالقدرة، لكان عاجزاً.

ولو كان عاجزاً، لما وجد شيء من هذه الحوادث المحكمة الصنعة المرتبة المتقنة، وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة.

---

(١٧) دراسات في الفرق السابق ص ٢١٩ ـ ٢٣١.

(١٨) شرح الدّرير على الخريدة ص ٧٨.

ب ـ لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً، والنقص على الإله محال.

جـ ـ لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً ،

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر . . وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل (١٩) .

د ـ الله صانع قديم، له مصنوع حادث ،

وصدور الحادث عن القديم ، لا يتصور إلا بطريق القدرة، فالله يجب له القدرة (٢٠) .

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ / البقرة ١٠٩ .

وقوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ / فاطر ٤٤ .

فوائد :

١ ـ لا تتعلق القدرة إلا بالممكن دون الواجب والمستحيل (٢١) .

أي لا تؤثر القدرة إلا في الممكنات فقط، لأن الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم.

أما الواجب : فلا يقبل التأثير، لأنه موجود لا يقبل العدم.

وكذا المستحيل : فلا يقبل التأثير أيضاً، لأنه معدوم، لا يقبل الوجود.

---

(١٩) المواقف وشرحه ص ١٨١ وحاشية محمد عبي الدين على السابرة ص ٥٨ .

(٢٠) المقاصد وشرحه ج٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٩ .

(٢١) المواقف وشرحه ص ١٨٤ والمقاصد وشرحه ج٢ ص٨٥ والسابرة ص٦٢ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٨ .

أي أن قدرة الله تعالى صالحة في الأزل لأن توجد وتعدم الممكنات فيما لا يزال، فهي صالحة أزلاً لإيجاد المخلوق وإعدامه.

ثانيهما : تعلق تنجيزي حادث.

أي أنه تعالى يوجد الممكن ويعدمه فيما لا يزال بقدرته (٢٥).

٣ ـ القدرة صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود فعلاً، إذا توجهت إلى إيجاده. أو صرفه من الوجود إلى العدم، إذا توجهت الإرادة إلى إعدامه (٢٦).

٢ ـ الإرادة

صفة أزلية، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عدم، ومقدار وزمان، ومكان وجهة (٢٧).

وضدها : الاكراه.

الدليل العقلي على ذلك :

١ ـ الله صانع للعالم بالاختيار، ومن كان كذلك تجب له الإرادة، فالله تجب له الإرادة (٢٨).

٢ ـ لو لم يكن الله تعالى مريداً، لكان مُكْرَهاً،

ولو كان مكرهاً، لكان عاجزاً،

ولو كان عاجزاً، لما وجد شيء من هذه المخلوقات.

---

(٢٥) الباجوري على الجوهرة ص ٥٨ والباجوري على السنوسية ص ٢٦ ورسالة في التوحيد للطائي ص ٤٣.

(٢٦) رسالة في التوحيد للطائي ص ٤٧.

(٢٧) الدردير على العقيدة ص ٧٨.

(٢٨) شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٠ وشرح المقاصد ج٢ ص ٩٤.

وعدم وجود شيء من هذه المخلوقات باطل بالمشاهدة، فثبت إرادته تعالى.

٣ ـ لو لم يكن الله تعالى مريداً، لكان مكرهاً، والإكراه في حقه تعالى نقص، وهو باطل.

٤ ـ لو كان تعالى مكرهاً لما اتصف بالقدرة، لأن تعلق القدرة موقوف على تعلق الإرادة (أي القصد إلى الفعل)، فلا تتعلق القدرة إلا بما تعلقت به الإرادة.

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ / البروج ١٦ .

وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ / البقرة ١٨٥ .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ / يس ٨٢ .

فوائد :

١ ـ يعبر البعض أحياناً عن الإرادة بالمشيئة (٢٩) .

٢ ـ الإرادة كالقدرة في التعلق. فهي لا تتعلق إلا بالممكن، دون الواجب والمستحيل (٣٠).

٣ ـ تعلق الإرادة تنجيزي قديم.

فالإرادة في الأزل مستقلة بتخصيص الحوادث بأوقاتها (٣١) ، وبالصفات التي يعلم أنه يوجد عليها في الخارج (٣٢) .

---

(٢٩) شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٩.

(٣٠) شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٠.

(٣١) المصدر السابق ص ٦١.

(٣٢) شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٥٩.

والتنجيز بالنسبة للإرادة هو عدم تعلقها بممكن من الممكنات، سواء ظهر هذا الممكن إلى =

فان قيل :

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه، ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكرّهه؟ وكيف يجمع إرادته له وبُغضه وكراهته؟ أجيب :

بأن المراد نوعان، مراد لنفسه ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه : مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره : قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته. وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده. فيجتمع فيه الأمران : بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقها. وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتداوِل له أنّ فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا علم أنّ في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه.

بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه عاقبة.

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل فيه، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوته (٣٣).

٢ ـ ٤ السمع والبصر

السمع : صفة أزلية شأنها إدراك كل مسموع، وإن خفي (٣٤).

فهي صفة تنكشف بها المسموعات من غير آلة. فلا يغرُب عن سمعه وإن خفي، ولا يعجبه سمعه بُعْدٌ، ويسمع من غير أصمخة وآذان.

---

(٣٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥ وما بعدها.
وانظر : شرح المقاصد ج٢ ص ٩٧.

(٣٤) المسامرة ص ٦٨ وانظر الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٦.

وضدها : الصمم.

البصر : صفة أزلية تدرك بها إدراك كل مبصر، وإن لطف (٣٥).

فهي صفة تنكشف بها المرئيات من غير آلة ، فلا يغيب عن بصره مرئي وإن دقّ ، ولا يدفع رؤيته ظلام، ويرى من غير حَدَقة وأجفان.

وضدها : العمى.

فهاتان الصفتان ليستا محدودتين، خلافاً لسمع الإنسان وبصره.

الدليل العقلي على ذلك :

أ ـ السمع والبصر صفتا كمال، وقد اتصف بهما المخلوق، فهو تعالى الأحق بالاتصاف بهما. وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق.

ب ـ هو أن الله تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بضدهما، وإذا ثبت اتصافه بضدهما، كان ذلك نقصاً، والنقص عليه محال.

فثبت اتصافه بالسمع والبصر.

جـ ـ لو ثبت اتصافه بالصمم والعمى، لكان ذلك نقصاً ،

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر .. وهكذا فيلزم الدَّور أو التسلسل. وكلاهما باطل (٣٦) .

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ / الحج ٧٥ ولقمان ٢٨ .

وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ / الشورى ١١ .

---

(٣٥) المسامرة السابق. وانظر الباجوري السابق ص ٦٧.
(٣٦) المسامرة السابق ص ٦٩.

فوائد :

١ ـ انكشاف جميع الموجودات بالسمع والبصر يغاير الانكشاف بالعلم، كما أن الانكشاف بأحدهما، يغاير الانكشاف بالأخرى (٣٧) .

٢ ـ ذهب الباجوري والشنواني إلى : أن السمع والبصر يتعلقان بكل الموجودات تعلقاً زائداً على العلم، فسمعه تعالى يتعلق بما هو قابل للسمع بالنسبة لنا، وبما هو غير قابل له من سائر الموجودات. وبصره تعالى كذلك.

أما الامام سعد الدين التفتازاني فقد قال :

إن صفة السمع تتعلق بالمسموعات، وصفة البصر تتعلق بالمبصرات، فلا يتعلقان عندئذ بكل الموجودات.

أما المعدومات فلا تتعلقان بها بالاتفاق، إذ لا يعقل ذلك، وإلا كانت من قبيل الموجودات (٣٨) .

٥ ـ العلـم

صفة أزلية تكشف المعلومات عند تعلقها بها (٣٩) .

وضدها : الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو (٤٠) .

الدليل العقلي على ذلك :

١ ـ الله فاعل فعلاً متقناً محكماً، وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء،

---

(٣٧) الدرير على الخريدة ص ٨٣.

(٣٨) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٨ و١٤١.

(٣٩) شرح العقائد النسفية ص ٧٩.

(٤٠) رسالة في التوحيد للطالبي ص ٤٨.

ومن كان فعله متقناً كان عالماً.

لأن من رأى خطاً حسناً يتضمن ألفاظاً عذبة رشيقة، تدل على معان دقيقة، علم بالضرورة أن كاتبه عالم (٤١).

ب ـ لو لم يكن الله عالماً، لكان جاهلاً.

ولو كان جاهلاً، لما وجد هذا العالم على هذا النظام الدقيق، الذي يدل على أن خالقه عالم بما تقتضيه مصلحته علماً كاملاً.

فثبت أن يكون عالماً (٤٢).

جـ ـ لو كان جاهلاً، لكان ناقصاً، والنقص على الإله محال.

د ـ لو كان ناقصاً لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل ومكملنا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت علمه تعالى (٤٣).

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ / لقمان ٢٣.

وقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ / البقرة ٢٩.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ / المائدة ١٠٩ و ١١٦.

وقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ / الأنعام ٥٩.

---

(٤١) المواقف وشرحه ص ٤٨٧ والمقاصد وشرحه ج٢ ص ٨٧.

(٤٢) المواقف السابق.

(٤٣) انظر شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٢ وابن قطلوبغا على المنارة ص ٦٠ و٦٢.

فوائد :

١ ـ يتعلق العلم بجميع المفهوميات وجودية كانت أو عدمية. أي : بالممكنات والواجبات والمستحيلات ، فهو يعلم كل الأشياء وجزئياتها تفصيلاً وإجمالاً (١٤).

٢ ـ تعلق العلم تنجيزي قديم :

فهو تعالى عالم بالأشياء أزلاً على ما هي عليه. وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحاضر، أو توجد في المستقبل، أطوار في المعلومات، لا توجب تغيراً في تعلق العلم.

وليس هنا : تعلق علموحي، وإلا لزم الجهل، لأن الصالح للعلم ليس بعالم، ولا تنجيزي حادث، لأنه يستلزم سبق الجهل (١٥).

٣ ـ الممكن يقبل الوجود والعدم على التعاقب. فإذا تغير هل يتغير علم الله به؟ وكيف يتغير علمه وهو قديم ؟

الجواب : أن صفة العلم لا تتغير، وإنما يتغير متعلقها (المعلوم).

٤ ـ علم الله القديم لا يمكن قياسه بالعلم الحادث، فهو تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها على الحالة التي ستوجد عليها (١٦).

٦ ـ الكـــلام

صفة تدل على جميع المعلومات.

وسيأتي اختلاف المتكلمين في تحديد هذه الصفة.

وضدها : البكم.

---

(١٤) السنوسية ص ٦٠ و٦٢ والمواقف وشرحه ص ١٨٨ وشرح المقاصد ج٢ ص ٩٠.

(١٥) شرح الباجوري على الجوهرة ج١ ص٦١ تبعاً للسنوسي ، ورسالة في التوحيد للطائي ص١٨.

(١٦) شرح الباجوري السابق.

الدليل العقلي على ذلك :

هو أنه تعالى لو لم يكن متكلماً، للزم أن يتصف بضده ،

واتصافه بضده نقص، وهو باطل، لأن النقص لا يرضى به المخلوق، فكيف بالخالق؟ فثبت اتصافه بصفة الكلام (١٧) .

الدليل النقلي :

قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ / النساء ١٦٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ / الشورى ٥١ .

اختلف المتكلمون في كلامه تعالى على أقوال :

١ ـ هو الكلام النفسي عند الأشاعرة والماتريدية ، أما كلامه تعالى لموسى ـ

١ ـ كلام نفسي : وهو الكلام الحقيقي المعبّر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، منافية للسكوت والآفة، كما في الخرس والفأفأة، وهو بها آمر ناهٍ مخبر وغير ذلك (١٨) وهو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى) .

وهو قائم بذاته تعالى. وهو :

غير العبارات : إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة، كما يدل عليه بالعبارة والطلب.

وغير العلم : إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه، أو يشك فيه.

---

(١٧) رسالة في التوحيد للغزالي ص ٥٣ .

(١٨) شرح المقاصد ج٢ ص ٩٩ .

ذلك قولاً لهم وسلّموا أنه حادث، وقالوا : هو قائم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث به وهو باطل (٦٣) . لأن ما يقوم به الحادث فهو حادث، وقد ثبت أنّ الله تعالى قديم فيما تقدم.

تعلق صفة الكلام :

تتعلق صفة الكلام بالواجبات والممكنات والمستحيلات، لأن تعلقها تعلق دلالة وبيان أو أمر ونهي، وقد احتوى بيانه تعالى وأمره ونهيه الحديث عن الواجب والممكن والمستحيل، كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريمة (٦٤) .

٧ ـ الحيـــاة

صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة وباقي صفات المعاني والمعنوية (٦٥) . وليس معنى الحياة في حقه تعالى، ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية ولا القوة التابعة للاعتدال النوعي (٦٦) ، كما أن حياة الله بلا روح، بخلاف حياة الحادث فإنها بالروح (٦٧) .

وضدها : الموت.

الدليل العقلي على ذلك :

أ ـ لو لم يتصف الله تعالى بالحياة، لما صحّ اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم، لأنه لا يتصور قيامها بغير حي، وهو محال (٦٨) .

---

(٦٣) المواقف السابق والسامرة ص ٧٧ وابن قطلوبغا على السامرة ص ٧٩.

(٦٤) نحو اليقينيات الكونية ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٦٥) التردير على الخريدة ص ٧٨ والصاوي عليه.

(٦٦) السامرة ص ٦٢ .

(٦٧) الصاوي على التردير ص ٧٨.

(٦٨) المواقف ص ٤٩٢ والمقاصد وشرحه ج٢ ص ٩٧ والباجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٤.

ب ـ الحياة صفة كمال، ونقيضها نقص، والله منزّه عن النقائص (٦٩) .

جـ ـ اتصافه تعالى بضد الحياة ، لا تجعله واهب الحياة ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه (٧٠) .

الدليل النقلي على ذلك :

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ / البقرة: ٢٥٥ .

وقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ / غافر ٦٥ .

تعلق صفة الحياة :

صفة الحياة لا تتعلق بموجود أو معدوم، فلا تستلزم أمراً زائداً على القيام بمحلها، كما تقدم في بيان معنى التعلق.

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

(٦٩) ابن قطلوبغا على المنارة ص ١٢.

(٧٠) رسالة في التوحيد للطالبي ص ١٩.

إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) / الزمر ٩١ .

« ثالثاً عقيدة التوحيد في الحياة »

لعقيدة التوحيد آثار عظيمة على حياة المسلم،تنقله من الظلمات الى النور،وتميز حياته عن حياة الملحد والمشرك،تتجلى في ما يأتي :

١ ـ الايمان بالله تعالى،وبأنه واحد،يمكن المرء من العلم؛بأن السماوات والارض لها رب يكلؤها برعايته،ويرعى من فيها بعنايته،فيرزقهم ويربيهم .

ويعلم؛بأن ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه .

اما الشرك والالحاد فلا يقول بمثل هذا .

٢ ـ الايمان بالتوحيد ينشيء في الانسان العزة والانفة،فالله هو الخالق، ولا ضار ولا نافع ولا محيي ولا مميت الا هو،فلا يطأطيء رأسه لاحد، ولا يتضرع اليه،ولا يرتعب من كبريائه .

اما الشرك والالحاد فيرى غيره قادرا على نفعه وضره ، فيتضرع اليه ، ويرتعب منه .

٣ ـ الايمان بالتوحيد ينشيء في المرء التواضع،فلا تراه يفخر بماله وعزه وكفاءته،وانما يقول بهي هبة من الله تعالى .

بخلاف الملحد الذي يطير اذا حدثت له نعمة عاجلة ، ويشيح بانفه على غيره .

٤ ـ المؤمن يرى ان النجاة والفلاح لا تكون الا بتزكية النفس والعمل الصالح والبر والتقى .

اما المشرك فيقول : ان ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا ، أو نحن ابناء

المطلب الأول

« ما يستحيل في حقه تعالى »

يستحيل على الله تبارك وتعالى اضداد الصفات الواجبة له المتقدمة التي ابتدأها وهي :

العدم ضد الوجود، والحدوث ضد القدم، والفناء ضد البقاء، والمماثلة للحوادث ضد المخالفة للحوادث، والافتقار الى المحل والتخصص ضد القيام بالنفس، والتعدد ضد الوحدانية، والعجز ضد القدرة، والكراهة ضد الارادة، والجهل ضد العلم، والموت ضد الحياة، والصمم ضد السمع، والعمى ضد البصر، والبكم ضد الكلام[1] .

الدليل على ذلك :

ان كل قابل الشيء لا يخلو عنه او ضده :

وهو تعالى قابل لتلك الصفات الواجبة، فلو لم يتصف بها لزم ان يتصف باضدادها، وهذه الاضداد تنافس، والنقص عليه تعالى محال .

فهذه الاضداد محالة عليه تعالى[2] .

---

(1) الدردير شرح الفريدة ص ٩٢ ـ ٩٣ والباجوري شرح الجوهرة ص ٨٦ تيمار السنوسي ودراسة في التوحيد للطالبي ص ٢٧ .

(2) الباجوري على السنوسية ص ٢٨ .

تمني الموت

النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل به في المال والجسد :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضرٍّ نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي) (١٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله يستعتب) / أخرجه البخاري (١٦) .

وقوله : (فلعله يستعتب) : الاستعتاب طلب العتبى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب (١٧) .

ومعنى الحديث : لا يتمنى أحدكم الموت محسناً وإما مسيئاً، أي سواء كان على حالة الإحسان أو الإساءة، أما إن كان محسناً فلا يتمنى الموت، لعله يزداد إحساناً على إحسانه، فيضاعف أجره وثوابه. وأما إن كان مسيئاً فلا يتمنى أيضاً إذ لعله يندم على إساءته، ويطلب الرضا عنه، فيكون ذلك سبباً لمحو سيئاته، التي اقترفها (١٨) .

جواز تمني الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين :

ودليل ذلك ما يأتي :

---

(١٥) أخرجه البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب الدعاء بالموت والحياة ج٨ ص ٩٤ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ـ باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ج ٤ ص ٢٠٦٨، واللفظ لمسلم.

(١٦) البخاري ـ كتاب المرضى ـ باب ما يكره من التمني ج٩ ص ١٠٤ .

(١٧) الذخيرة ص ٤ ـ ٥ .

(١٨) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ للقسطلاني ج١٠ ص ٢٨٠ .